

هل الحاجة الاقتصادية تقود إلى مفاسد أخلاقية؟

إعداد

دكتور / حسين شحاتة

الأستاذ - بجامعة الأزهر



👁️ تشخيص الظاهرة .

👁️ — لقد شاع بشكل ملحوظ ظاهرة قيام بعض الأفراد بقتل الأطفال والشيوخ والنساء بهدف سرقة المال والمجوهرات وما في حكم ذلك بسبب الحاجة على حد قولهم .. ولقد هان كل شئ حتى النفس التي حرم الله إلا بالحق من أجل الحصول على مال أو متاع للوفاء بحاجاته من الضروريات والحاجيات المعيشية على حد قولهم ، وفي هذا صراع بين القيم الإنسانية وبين الحاجات الاقتصادية .

👁️ — كما شاع التغرير بالفتيات والنساء والاعتداء عليهن مقابل وعود كاذبة منها المال والجاه ... ولقد هان أقدس شئ عند المرأة من أجل الإغراء بالمال ، وفي هذا تحدى بين حفظ العرض وبين شهوة المال .

👁️ - كما انتشرت الرشوة والاعتداء على الأموال بالسرقة والاختلاس مع التضحية بالقيم الأخلاقية ، فيضحى الموظف بسمعته وحاجه وعزته وكرامته من أجل دراهم سوف تنتهي قبل الأجل أو معه .

👁️ — فما من يوم تطلع فيه الشمس إلا وتطالعنا الجرائد بأخبار فيها الاعتداء على الدين والعقل والنفس والعرض والمال ... وهكذا تنتهك مقاصد الشريعة الإسلامية من أجل الحاجات الاقتصادية اللازمة للحياة .

ويتساءل الناس :

- ما أسباب هذه الظاهرة النكراء ؟

- ما هو السبيل للعلاج ؟.

هذا هو ما سوف نتناوله في هذه المقالة بشيء من الإيجاز في ضوء الواقع وبيان المنظور الإسلامي لمعالجتها في ضوء القرآن والسنة والفقهاء .



👁 ما هي أسباب جريمة الاعتداء على النفس والعرض من أجل المال ؟)
الصراع بين الحاجة الاقتصادية والقيم الأخلاقية)

من أهم أسباب هذه الظاهرة ما يلي :

أولاً : ضعف القيم الإيمانية في قلوب المعتدين ، وسيطرة قوى الشيطان والشر وحب المال فتنساق الجوارح في اتجاه البغى والفحشاء والمنكر فتضل وتسرق ، ولقد زين لهم الشيطان سوء أعمالهم ... وأضلهم عن السبيل ... ولقد شخص ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " لا يسرق السارق وهو مؤمن ، ولا يزنى الزانى وهو مؤمن " ويفهم من هذا الحديث الشريف أنه في لحظة ارتكاب الجريمة أيًا كان نوعها يفرغ القلب من الإيمان ويسيطر عليه الشيطان .

ثانياً : انتشار الفساد الأخلاقي في البر والبحر وفي كل مكان ، وتكونت له عصابات تخطط وتنظم وتنفذ .. ومن نماذج ذلك الخيانة والكذب والتدليس والغش والنفاق .. فعندما يسيطر الكفر والفسوق والعصيان على القلوب ينتشر المنكر والبغى والفحشاء ، وتؤدي مفاصد الأخلاق إلى جرائم اقتصادية ..

ثالثاً : هيمنة القدوة السيئة على بعض مواقع المسؤولية وفي الشركات والوزارات والمصالح وصدق من قال : إذا كان رب البيت بالدف ضارباً & فشيمة أهل البيت الرقص فإذا كان المدير أو الوزير أو الرئيس لصاً ومرتسياً ومعتدياً ، وإذا كان الأب سييء الأخلاق .. فهذا في معظم الأحيان يقود إلى تنشئة أجيال سيئة تقتل وتعتدى .. ويقولون إننا وجدنا آباءنا وسادتنا كذلك يفعلون .

رابعاً : ضعف العقوبات المقررة بالقوانين الوضعية بعد أن نُحيت الحدود والتعزيرات الشرعية جانباً .. (إن تطبيق شرع الله كفيل بحماية النفس والمال والعرض) فالسارق والمعتدى يدخل السجن أياماً معدودات ويخرج منه محترفاً وأكثر كفاءة في مجال الاعتداء والسرقات ، أو تعطيل تطبيقها بسبب الوساطة والمجاملة أو غير ذلك .



خامساً : الفقر والجهل والمرض .. بمعنى عدم كفاية الحاجات الأصلية للإنسان وهى المأكل والمشرب والمأوى والتعليم والعلاج .. فتسول للإنسان الفقير المحتاج نفسه الأمانة بالسوء بأن يعتدى على الآخرين ليكفى حاجات نفسه وأسرته .. وهذا أمر مرفوض شرعاً ولكن هذا هو الواقع الذى نعيشه فى معظم الأحيان .

سادساً : وسائل الإعلام السيئة التى تربي عند الشباب حب ارتكاب الجرائم والتقليد الأعمى لما يحدث فى دول أوروبا وأمريكا وغيرها التى يشيع فيها انتهاك الأعراض والاعتداء على الأنفس والأموال ، كما تثير هذه الوسائل عند الأفراد الكثير من الرغبات المكبوتة والتطلع للمزيد من وسائل الترف والمتع وعدم القناعة بما لديهم .

سابعاً : الظلم الاجتماعى والقهر الاقتصادى ولا سيما الاحتكار ذو النفوذ السياسى وتقصير بعض مؤسسات المجتمع المدنى بدورها تجاه الفئات المهمشة التى تخلت عنها الحكومة .

هذه الأسباب فى مجملها تعتبر من منظور الإسلام رذائل ، وبلغه رجال الدين تعتبر من كبائر الذنوب والتى تقود كما قال العلماء إلى ارتكاب الجرائم الفظيعة التى نقرأ عنها ومنها الجرائم الاقتصادية ، فيضحى بالنفس البشرية من أجل المال قل أو كثر ، ويضحى بالسمعة والجاه من أجل المال .. وهكذا تتفاعل الأخلاق السيئة مع المفاصد الاقتصادية .



👁 ما هو العلاج ؟ ما هو السبيل ؟ ما هو الخلاص ؟ من المنظور الإسلامي.

يقول علماء الدين والدعوة الإسلامية وعلماء النفس : أن العلاج الحقيقي في التربية الصالحة الفعالة في البيت وفي المدرسة أولاً ثم التوعية والتذكرة في مجالات العمل ثانياً ، ثم المتابعة والمراقبة والتقويم المستمر في كل وقت وحين ثالثاً ، ثم تطبيق نظام العدالة الاجتماعية في الإسلام ومن أدواته : توفير حد الكفاية لكل إنسان وتطبيق نظام زكاة المال والصدقات والوقف الخيري ونظام الكفايات وغيرها .

ومن المنظور الإسلامي .. يمكن وضع مجموعة من المبادئ التي تساهم بدور فعال في علاج هذه الظاهرة الشنيعة.

📌 - على مستوى البيت : يجب أن يهتم الأباء بغرس القيم الإيمانية والأخلاقية والسلوك السوي عند الأولاد منذ النشأة : ولاسيما ما يتعلق بحرمات الله .. ومراقبة الله ، ومحاسبة الله في الآخرة .. إلى غير ذلك من القيم والمعاني الفاضلة والتي تغرس في قلوب ونفوس الأطفال نفحات الخير .. ويقول رجال التربية والتعليم : " إن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر " ، كما يجب أن يكون للوالدين برنامج تربوي منزلي لتحصين الأولاد ضد ارتكاب الجرائم والردائل .

📌 — على مستوى رياض الأطفال وكتاتيب تحفيظ القرآن وما في حكم ذلك : هذه الأماكن ذات جدوى إيجابية في تعويد الأطفال وتربيتهم وتعليمهم القيم الإيمانية والأخلاقية من خلال برامج الترويح واللعب والتعليم .. وتساهم شرائط الفيديو والكمبيوتر المخصصة للأطفال بدور فعال ، كما أن اختيار مربية ومعلمة القرآن ومن تعمل في مجال رياض الأطفال على أساس الدين والأخلاق له دور مؤثر جداً جداً في تحصين الأطفال ضد الردائل .. وعندما يتكامل دور البيت ودور كتاتيب تحفيظ القرآن ورياض الأطفال الإسلامية تكون الحلقة قد اكتملت : إن تعاون الأم في البيت مع المعلمة في الحضانة يحقق بناء قاعدة إيمانية أخلاقية عند الطفل يستطيع من يأتوا بعدهم البناء على أساس سليم .



٤٥٣ — على مستوى المدرسة والمعهد والكلية : يجب أن تدرس مادة الدين والأخلاق في المدارس والمعاهد والجامعات .. وما في حكم ذلك وأن يكون لها الاهتمام الأوفى ، ولا يجوز النظر إليها على أنها في مرتبة متدنية بالنسبة للعلوم الأخرى كما هو الحال الآن ، كما يجب أن تدرس بمنهجية جديدة — ليست كثافة دينية ولكن كمنهج حياة .. وأن يختار لها أفضل الأوقات وأفضل المعلمين والمعلمات .. ولا يجب أن نهمل نسبة ٩٥% من أولادنا من تعليم الدين الإسلامي من أجل ٥% آخرين لا يريدون الاهتمام بدينهم .. علماً بأن جميع الشرائع السماوية تحض على القيم والأخلاق والمثل العليا ، إذا كانت المدارس والمعاهد والكلية في الدول غير العربية والإسلامية بدأت تهتم بعلم الأخلاق ويعتبرونه مناط الأمل والتقدم والرقى .. فنحن أولى بذلك ، ما ظهرت مدرسة جديدة في عالم الاقتصاد تنظر إلى الأخلاق على أنها أساس التنمية الاقتصادية ويقولون أخلاق حسنة تقود إلى تنمية اقتصادية أفضل .

٤٥٤ — على مستوى مواطن العمل : في المصنع والمتجر والمصلحة الحكومية والوزارة والرياسة .. يجب أن توضع برامج توعية مستمرة تقوم على أساس الدين والأخلاق .. فقد قال رجال الأعمال حديثاً : أخلاق حسنة تقود إلى معاملات حسنة .. فإذا كان صاحب العمل ووكيل الوزارة يهتم بالنظم واللوائح والطرق والأساليب وتكون الترقيات إلى المناصب العليا مرهونة بمن يتفوق في الالتزام بها .. ألم يكن من الأجدر الاهتمام بالدين والأخلاق كذلك ، ولقد قال أجدادنا : " الأدب فضله على العلم " ، ونقول نحن : " القيم والأخلاق أولاً " .

٤٥٥ — اختيار العامل والقيادة على أساس القيم والأخلاق : فعندما تولى عمر بن الخطاب أمور المسلمين ، اختار أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليعاونوه في المسئولية وقال : " إذا لم استعن بأهل الدين على أمور المسلمين فبمن أستعن " ، فالكفاءة الفنية وحدها لا تكفى يل يجب أن تحاط بالقيم والأخلاق .. فإذا كنا لا نأمن الإنسان العامل والموظف دين الله ، فهل نأمنه على المال ، فإذا كان سىء الأخلاق ، فسوف يكون كذلك سىء المعاملة مع المال الذى يتعامل به .

١٥
٢٠١٦ - الاستعانة بأساليب التقنية الحديثة في مجال التربية الدينية والأخلاقية : فالحكمة ضالة المؤمن
أينما وجدها فهو أحق الناس بها ، لذلك يجب الاستعانة بالتكنولوجيا الحديثة لتذكير
أصحاب القلوب المريضة والنفوس الضعيفة بالعقاب في الآخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون ..
هؤلاء الذين تسول لهم أنفسهم بقتل الأطفال والشيوخ أو النساء .. من أجل دراهم معدودة
، وهؤلاء الذين يعتدون على المال العام والمال الخاص بالسرقة والاختلاس .. يجب أن يندروا
بالعذاب الأليم يوم القيامة وفي ، هذا المقام يجب على القائمين على أمر أجهزة الإعلام إعادة
النظر في نوعية البرامج وتسخير التكنولوجيا في التوعية السليمة التي تقود إلى حفظ الدين
والنفس والعقل والعرض والمال .



👁️ حلقة العلاقة السببية بين الرذائل الأخلاقية والمفاسد الاقتصادية .

نعم إن الرذائل الأخلاقية تقود إلى المفاسد الاقتصادية ، كما أن إلحاح الحاجات الاقتصادية الأصلية للإنسان وعدم توافرها لدى الفقراء وما في حكمها تقود أحياناً عند بعض الناس إلى الرذائل الأخلاقية ، وهذه حلقة لا تنتهى إذا استمر الحال كما هو عليه .



والشكل البياني هذا يفسر هذا ولابد من تغير اتجاه الحلقة عن طريق الأخلاق الحسنة الفاضلة التي تقود إلى

تنمية اقتصادية حسنة وتوفر للإنسان حاجاته الأصلية، وتبدأ دورة جديدة كما هو

موضح بالشكل التالي :



👁 حتمية التغيير من أجل الإصلاح .

بمعنى يجب أن تنتقل من الحلقة الأولى إلى الحلقة الثانية ، ولن يتحقق ذلك إلا بعد أن نغير الأخلاق السيئة بالأخلاق الحسنة وهذا ما أكد عليه الله سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ وَكُوِّنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٩٦) (الأعراف) ، ولقد شكوا قوم نوح من الفقر والفاقة فقال لهم سيدنا نوح عليه السلام كما ورد في القرآن على لسانه : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) ﴾ (نوح) ، ولقد روى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أحاديث كثيرة في هذا المضمون ، منها قوله (صلى الله عليه وسلم) : " وإن العبد ليذنب الذنب فيحرم الرزق قد هبىء له " ، وقوله (صلى الله عليه وسلم) : " إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه " .



إن علاج ظاهرة الحرابة والبلطجة ومن صورها على سبيل المثال: قتل الأطفال والنساء والرجال من أجل الحصول على أموالهم ومجوهراتهم ونحو ذلك ، ، والاعتداء على المال الخاص و العام بالرشوة والاختلاس والسرقة .. وهكذا يجب أولاً: الاهتمام بالقيم الإيمانية والأخلاقية ، وثانياً توفير الحاجات الاقتصادية الأساسية للإنسان أى توفير الحقوق الاقتصادية للأفراد .

ولذلك فإن القول : بأن الرذائل تؤدي إلى المفاسد الاقتصادية صحيح ، كما أن نقص الحاجات الاقتصادية للفقراء والمساكين تقود إلى مفسد أخلاقية في بعض الأحيان .

ولقد عالج الإسلام هذه الظاهرة من خلال التربية الإسلامية ونظام زكاة المال ونظام الصدقات ونظام الوقف ونظام الوصايا ونظام الكفایات وكافة سبل التكافل الإجتماعي .

فإلى الإسلام أيها الراغبون في علاج المجتمع من سوء الأخلاق ومفاسد الاقتصاد ، وصدق الله القائل: ﴿ فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) ﴾ (طه) .

وندعو الله سبحانه وتعالى بالمأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم إنا نعوذ بك الكفر والفقر " ، " اللهم اغننا بحلالك عن حرامك ، واغننا بفضلك عن سواك "

والله يقول الحق وهو يهdy السبيل